## مؤتمر بال ١٨٩٧

قبل انعقاد هذا المؤتمر، الذي يعتبر حجر الأساس في البناء الصهيوني، كان لبعض المعطيات دورها الكبير في عقده، فقد ساهم الثري اليهودي موسى مونتفيوري في عام ١٨٣٥ في إنشاء اول مدرسة في فلسطين، وشجع الهجرة اليهودية إليها، كما «حصل من السلطان عبد المجيد العثماني على فرمان [مرسوم] يسمح له بشراء الاراضي في يافا والقدس. فاشترى الارض القائمة حاليا، فوق بركة السلطان سليمان القانوني في القدس سنة ١٨٥٤، وقد اقيم عليها حي يهودي، ما زال حتى هذا اليوم،يعرف بحي مونتفيوري. كما انه بذل قصارى جهده في اقناع اليهود القاطنين في فلسطين آنذاك بأن يتحولوا إلى فلاحين. ومن أجل هذه الغاية انشأ أول بيّارة برتقال يهودية بالقرب من يافا سنة ١٨٥٦. كما انه تعهد بدفع نفقات كل يهودي يرغب في الهجرة الى فلسطين بقصد الاستيطان»(٢٠).

ويبدو ان الاهتمام بالأرض والزراعة والمشروعات الزراعية كان يأخذ القسط الأكبر من التوجهات الصهيونية لاستعمار فلسطين واستيطانها. «ففي عام ١٨٦٠ ايضا تأسست في فرنسا حركة الاتحاد الاسرائيلي العالمي الأليانس Alliance ظاهرها رفع المستوى المعنوي والثقافي لليهود وخصوصا في الشرق وشمالي افريقيا. وأبدت فرنسا عطفا ظاهرا على هذه الحركة ودعمتها بقوة حتى استطاعت شراء بعض الاراضي في فلسطين وإقامة بعض المشروعات عليها، كما انشأت أول مدرسة زراعية في فلسطين هي «مكفا اسرائيل» التي لا تبعد عن مدينة يافا اكثر من اربعة كيلومترات»(٢١).

وكما لعب الاهتمام بالزراعة دوره على هذا الصعيد؛ كان للاهتمام بالعمل الثقافي والروحي والسياسي دوره ايضا. وبرزت الصهيونية الروحية ممثلة بزعيمها الاوكراني آشرغنز برغ المعروف بأحدها عام (ومعناه احد من العامة) وأسس نادي بني موسى لتدريب الشباب اليهودي وتعويدهم على القتال وسفك الدماء. ويعتبر احدها عام الاستاذ الروحي لوايزمن. كما كان للكتاب الذي ألفه البارون دي هيرش الألماني بعنوان «روما وأورشليم» دوره ايضا، وهو الذي اسس جمعية الاستعمار اليهودي في لندن. لكن الضجة الكبرى ثارت بعد صدور كتاب ليون بنسكر عام ١٨٨٢ بعنوان «التحرر الذاتي» حيث كان بمثابة أول داع إلى إقامة وطن قومي لليهود دون التشبث ببقعة معينة لهذا لوطن، بعد أن كان بنسكر في مطلع شبابه من أكبر الداعين إلى اندماج اليهود في أوطانهم، وتخلى عن ذلك بعد مجازر روسيا عام ١٨٨١. ثم كان كتاب هرتسل «الدولة اليهودية» قبل عام ١٨٩٧ بمثابة ميلاد الحركة الصهيونية.

وكما كان بنسكر في البدء من دعاة الاندماج، فقد كان هرتسل ايضا من الذين نادوا باندماج اليهود مع غيرهم من المواطنين، معتقدا ان هذا العمل هو السبيل الوحيد للقضاء على ما كانوا يلقونه من اضطهاد. وبلغت به فكرة الاندماج حدا جعلته ينادي، كحل جذري للمشكلة، بأن يتنصرّ اليهود. كما بلغ به الخيال درجة جعلته يتمنى اخذ اطفال اليهود إلى روما، لتعميدهم في الكنيسة بين يدي البابا، وجعلهم مسيحيين. وفي هذا وضع حد للحياة اليهودية، وبالنسبة للاجيال القادمة (٢٢). لكن محاكمة الضابط اليهودي الفرنسي دريفوس بعد ان باع اسرارا عسكرية لالمانيا، نقلت هرتسل من يهودي اندماجي إلى صهيوني. وبقي هرتسل يعمل جاهدا من اجل نقل نشاطه الى الواقع العملي، حيث تمكن في شهر آب ١٨٩٧ من عقد أول مؤتمر صهيوني في بال في سويسرا. وحدد في خطاب الافتتاح غاية المؤتمر قائلا: «نحن هنا لنرسي حجر الاساس للبيت الذي سوف يأوي الامة اليهودية»، كما تضمن البرنامج الذي اقترحه ثلاث نقاط أساسية:

١ ـ ايجاد استعمار يهودي لفلسطين، منظم وعلى نطاق واسع.